

الحدس بقدوم الضيف في المعتقدات الشعبية الجزائرية

Predicting the arrival of the guest in Algerian folk beliefs



د. زينب نسارك*

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية - الجزائر

zineb.nessark@univ-bejaia.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/07 تاريخ القبول: 2023/04/14 تاريخ النشر: 2023/05/14



ملخص:

ينطلق البحث من إشكالية المعتقدات الشعبية المنتشرة في البيئة الجزائرية، ومن مدى الإيمان بها وتصديقها، ولهذا فهو يعالج مفهوم المعتقدات الشعبية وعلاقتها ببناء علاقات المجتمع المختلفة، فيركز على المعتقد الشعبي الجزائري المتعلق بالضيف وبالتكهن بقدومه وخاصة في الأوساط الشعبية، الذي ارتبط بمجموعة من الأحداث اليومية المتعلقة بسلوك الإنسان والحيوان، وربطها مباشرة بالضيف، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، كان أهمها اعتبار المعتقدات الشعبية موروثات ثقافية راسخة في أعماق المجتمع الجزائري، وتعكس هويته، واختلافها من منطقة إلى أخرى.

الكلمات المفتاحية: المعتقدات الشعبية؛ التراث الشعبي الجزائري؛ السلوك الإنساني؛ الطقوس؛ الضيف.

Abstract:

The research stems from the problem of popular beliefs prevalent in the Algerian environment, and from the extent of belief in and ratification of them. Therefore, it deals with the concept of popular beliefs and their relationship to building various community relations. It focuses on the Algerian popular belief related to the guest and the

* المؤلف المراسل

prediction of his coming, especially in popular circles. It has linked a group of daily events related to human and animal behavior, and linked it directly to the guest, and the research reached a set of results, the most important of which was the consideration of popular beliefs as cultural heritages rooted in the depths of Algerian society, and reflecting its identity, and its difference from one region to another.

key words: popular beliefs; Algerian folklore; human behavior; rituals; guest.

مقدمة:

المعتقدات الشعبية هي موروثات فكرية وسلوكية احتلت عقول الناس وملكت قلوبهم؛ فأمنت مسلمات لا يمكن أن يرقى إليها الشك، بصرف النظر عن صحتها أو خطئها، وأمسى الخضوع لحكمها بديهاً؛ فقد أخذت سبيلها إلى قلوب الناس ونفوسهم، عامتهم وخاصتهم؛ ورسخت في الوعي الشعبي، وأضحت جزءاً هاماً من الوجدان الشعبي، ودخلت في عداد المأثور الشعبي، وأصبحت هاجساً يشغل بال الناس فيشعرهم بالتفاؤل والفرح أحياناً، والخوف والتشاؤم أحياناً أخرى، فما المقصود بالمعتقدات الشعبية؟ وما مدى تأثيرها على المجتمع و على سلوك أفراده؟ وهل يمكن للمعتقدات الشعبية أن تزول وتندثر مع التقدم العلمي والتكنولوجي؟ وما هي أهم المعتقدات الشعبية الجزائرية المرتبطة بالضيف وبالتكهن بقدومه؟.

1- مفهوم المعتقدات الشعبية:

المعتقدات الشعبية هي "تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية والشاذة، كتصورات الناس عن الزلازل والخسوف.. إلخ، وكذلك تصورات الناس عن بعض الظواهر الفيزيائية والنفسية كالأحلام والميلاد والولادة والخلاص والموت ورؤية المستقبل"¹، كما أن المعتقدات تنبع من "نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرواية أو الإلهام، أو أنها كانت أصلاً معتقدات النبي- إسلامية أو مسيحية- أو غير ذلك ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال"².

وتدور موضوعات المعتقدات الشعبية عموماً حول الكائنات فوق الطبيعية والطب الشعبي والأحلام والجسم الإنساني والحيوان والنبات والأحجار والمعادن، وأخرى تدور حول الأماكن وأوائل الأشياء وأواخرها والاتجاهات والألوان والأعداد والنظرة إلى العالم وغيرها، وغدت هذه المعتقدات جزءاً من ثقافة المجتمع يصعب القضاء عليها في وقت قصير؛ لكن بعد انتشار التعليم وازدياد الوعي وانتشار وسائل الإعلام والاتصالات، تلاشى الكثير منها.

وتتميز "المعتقدات الشعبية ببعض الخصائص التي تميزها عن سائر الأنواع الشعبية الأخرى... أما المعتقدات الشعبية فهي -على خلاف هذه العناصر الشعبية- أصعبها كلها في التناول وأشقها في الدراسة والبحث، لأنها خبيئة في صدور الناس، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تحتمر وتشكل بصعوبة -مبالغ فيها أو مخففة- يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا، وهي مع تمكنها في أعماق النفس الإنسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفيين أو الحضر، عند غير المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبة عالية من العلم والثقافة وصاروا يخضعون في حيلهم وأفكارهم للأسلوب العلمي"³، فلا فرق بين المتعلم وغيره فيما يتعلق بالمعتقدات الشعبية، لأن أكثرها يكون راسخا لدى الإنسان منذ ولادته، ولهذا قد نجده يؤمن بالمعتقدات الشعبية بشدة ويدافع عنها خاصة تلك التي تتعلق بالجانب الإيجابي من حياته ولها تأويلا إيجابيا فيه كثير من السعادة والتفاؤل أو التشاؤم.

والمعتقدات جملة أفكار نشأت عند الفرد إثر ظروف خاصة، ساهمت تفاعلات البيئة والمجتمع في صنعتهما، من ثم اتجهت بمرور الزمن إلى مسار اليقين والجزم لتتحول إلى حقيقة لا تقبل الجدل وإيماننا يفرض على الإنسان ضرورة الدفاع عنها، عندئذ تتحول الأفكار إلى قيم ومشاعر متأصلة في داخل النفس يعد المساس بها انتهاكا لحرمة من يسلم بها، فهي مجموعة "من الأفكار التي يؤمن بها الشعب، فيما يتعلق بالعالم الخارجي

والعالم فوق الطبيعي، تمثل منظور الجماعة في حياتها وتعاملها مع الحياة، وهو كذلك نسق فكري يضم الاعتقاد والشعائر والطقوس وغيرها، يزود الشعب بأسباب الخلق والحكمة والرشد في الأفعال"⁴.

وأفكار المعتقد تصبح حالة جماعية حينما يلعب الفرد دورا كبيرا في التأثير على الجماعة، تتشكل بعد ذلك في صور: طقوس، وتعاليم، وواجبات، ومبادئ، والفرد وحده لا يستطيع ممارسة هذه المعتقدات، وإن مارسها فإنها لن تتسم بالرغبة في الممارسة وبالحماس الذي يظهر أثناء الممارسة الجماعية لها. كما إنها تفرز مجموعة من التقاليد والأعراف والعادات ذات الطبيعة الشعبية أو الدينية أو القومية التي يتم ترسيخها في قلوب وعقول أفراد الجماعة بشتى المصادر من معلومات ومشاهد ومواقف وأقوال ومرجعيات، يقابل ذلك نشوء عاطفة قوية بين الفرد ومحتوى المعتقد حينما يجد فيه ما يدغدغ مشاعره الإنسانية، ويغذي حاجاته النفسية، ويزرع مشاعر الأمان والطمأنينة، ويعزز ارتباطه بالمطلق (الخالق) على اختلاف أسمائه، لتظهر بعد ذلك علاقة بين هذا المعتقد والنفس البشرية تتمركز في أعماق الإنسان، فيتكاثر الأتباع والمريدون مما يولد لديهم الرغبة في تقوية مبدأ الولاء والطاعة، وتعزيز مفهوم ايجابية ونفعية تلك المثل والمبادئ، وتأسيس أفضلية تلك المبادئ دون غيرها.

والمعتقدات الشعبية هي المحصلة النهائية للأفكار المزروعة منذ مرحلة الطفولة والتي تتبلور بفعل ما يختبره الإنسان من مشاعر وتجارب وخبرات على مدى حياته وصولا إلى خلق معتقدات راسخة في العقل لا يمكن أن تتغير؛ لأنها مرتبطة بالمشاعر، وتخزن في الذاكرة على هيئة تجارب وخبرات، لتصل إلى مرحلة تنفيذها على أرض الواقع.

تساهم المعتقدات الشعبية -إلى حد كبير- في تشكيل ثقافة الفرد، من خلال موافقته عليها واقتناعه بها، فتصبح مشكلة لعاداته وتصرفاته، وترتبط ارتباطا كبيرا بالماضي،

تتناقلها الأجيال عبر العصور، فتصبح عادات مستمرة تتحوّل بعد زمن معيّن لتقليد راسخ.

وهي عبارة عن "إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب"⁵، فهذا الجانب اللاشعوري والميتافيزيقي هو الذي يدفع بالإنسان أكثر إلى الإيمان بالمعتقدات الشعبية، وتصديقها والاعتقاد بحدوثها ف "لا شك أن المعتقد الشعبي بالمحصلة النهائية هو الثقة والإيمان المطلق بقوة المعتقد"⁶، فكلما كان المعتقد قويا كلما زاد الإيمان به، وزاد انتشاره.

2- ثبات المعتقد الشعبي:

هذا يقود بدوره إلى استحالة تغيير المعتقد؛ أي الثبات عليه، فمن يؤمن بالمعتقد إيمانا مطلقا لا ينظر لأي دليل ينافيه؛ حتى وان كان محسوسا وله علاقة بالعقل أو العلم أو بمفاهيم المنطق إنما يقابل الأدلة بالتجاهل أو الحذف أو النظر إليها نظرة دونية، ويحاول الدفاع عنه وبحث مجموعة من الدلائل الإقناعية والحجج.

فالمعتقدات الشعبية تنتج حاجة سوسولوجية ماسة لأن المعتقد هو الذي يعطي الخبرة الدينية شكلها المعقول، استناداً إلى ما تقدم فإن "الطقس ليس فقط نظاماً من الإيماءات التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، بل هو أيضاً مجموعة من الأسباب والوسائل الأخرى، وثانياً أن دوام واستمرار أي معتقد يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد به وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه"⁷، فالإيمان شرط أساسي لاستمرار المعتقد أو العمل به، إضافة إلى درجة انتشاره بين أفراد المجتمع فكلما توسعت رقعته الجغرافية توسع الاعتقاد به والعمل عليه.

كما يعد التفاعل والاحتكاك المستمر بين أفراد المجتمع الشرط الآخر لاستمرار المعتقد فنقص التفاعل والاحتكاك يؤدي إلى زوال المعتقد واختفائه التدريجي بين عامة الناس، لأنه عبارة عن "ظاهرة اجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية

وتصوراتهم حول الحياة والوجود وقوى الطبيعة المخيفة والمسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية، ولأسباب عديدة أهمها ذلك التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار يصبح المعتقد ذا قوة أمره قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب ويقهر في حالة السلب⁸، فالطبيعة هي المصدر الرئيس لمجموعة من المعتقدات الشعبية لارتباطه بقوى خارقة لا يستطيع الإنسان البدائي تفسير أكثرها، والتعبير عنها تعبيرا علميا يستند إلى البراهين العلمية، ولهذا فإن المعتقدات تعتبر التفسير الساذج الأقرب إلى مخيلة الناس الذين يكتفون بالتأمل حيناً وبالبحث عن الأسباب حيناً آخر.

3- أهمية المعتقدات الشعبية:

يلاحظ أن المعتقدات الشعبية تتغلغل في جوانب الحياة الشعبية، المادية منها والروحية، فالمعتقدات هي المحرك وراء كل الطقوس والممارسات الاجتماعية التي يقوم بها الفرد سواء أكان منفرداً، أم مع جماعة ولذلك توفر دراسة المعتقدات الشعبية فهماً أعمق لطبيعة هوية الجماعة وخصوصيتها، وتمتع استغلال هذه المعتقدات وتوظيفها من أجل اختراق المجتمع. فتلك المعتقدات هي الدافع الخفي وراء احتفاظ الجماعات الشعبية بكثير من عاداتها وممارساتها الموروثة لأنها وعاء مهم يحوي ذاكرة جماعية ويحوي انتماء جماعة إلى حيز جغرافي معين، لأنها تختلف من منطقة إلى أخرى وهذا حسب درجة التأويل وقوة الإيمان، وما تملكه من سلطة على العقلية الشعبية ينفي القول بأن نشأتها لدى الجماعات هو نتيجة للكشف أو الرؤية أو الإلهام، أو أنها مجرد معتقدات دينية تحولت لأشكال جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال.

وتمثل المعتقدات الشعبية رافداً من روافد المجتمع، ولهذا ينظر إليها "باعتبارها نسقا اجتماعيا منتظما ومتكاملا، تؤدي من خلاله وظائف وعمليات عديدة في إطار ثقافة المجتمع، وباعتبارها حاملة التوفيق بين معتقداتهم في الماضي والحاضر، وكذا نقلها عبر الأجيال، لما تسهم به في إشباع حاجات نفسية واجتماعية، وخاصة فيما يرتبط بالجانب

الغبيي الدفين في أعماق النفس البشرية"⁹، ومع مرور الزمن أصبحت تلعب دورا مهما في ترسيخ جزء من ثقافة الأفراد وتوجيه سلوكهم، وقد يبلغ إيمانهم بصحة هذه الخرافات الشعبية حدا يجعلهم يخالفون العقل وحتى الدين لتعلقها بعالمهم الداخلي الذي يؤمنون به في سير نمط حياتهم اليومية التي يطغى عليها طابع البساطة والاعتقاد بحدوث الشيء الذي قد يجبونه فيتمسكون به أو ينفرون منه ولهذا يبنون معتقداتهم حسب طبيعة إحساسهم تجاه ذلك الشيء، ولهذا فإن الخاصية الرئيسية للمعتقد هو بساطة التأويل، إضافة إلى مخالفة العقل والدين.

4- التكهن بقُدوم الضيف في المعتقد الشعبي الجزائري:

وعندما نتحدث عن المعتقدات الشعبية في الجزائر والتي ما زالت راسخة في مجتمعا، إذ لا يؤمن بها الأمي فقط بل حتى المثقف في أحيان كثيرة، فهي عبارة عن إرث تناقلته الأجيال أبا عن جد، فأصبحت هاجسا يشغل بال الناس فتجدهم يتفاءلون ويفرحون حيناً، ويخافون ويتشاءمون حيناً آخر، وفي كلا الحالتين فإن تأثير المعتقد يكون شديد الوقع على صاحبه، خاصة ما يتصل بالحياة اليومية كعادات الزواج وعادات الطعام، وحتى ما يقترن بالوفاة.

من العادات الراسخة في المجتمع الجزائري هي الترحيب بالضيف والفرح بقُدومه، فللضيف مكانة مميزة في المجتمع الجزائري، وليس هذا بغريب لأنه امتداد للدين الإسلامي الذي أعلى من مكانته، وكذلك امتداد للجذور العربية التي تنزل الضيف منزلة خاصة، إذ تقام على شرفه الولائم ويتم الترحيب به بالطريقة التي تلائم مقامه ومنزلته، فالضيف يستقبل بالحفاوة اللازمة والترحيب الحار على قُدومه وإظهار الوجه البشوش والفرح لقُدومه، فقد اشتهر العرب بالترحيب بالضيف وإكرامه وإنزاله أفضل المنازل، وقد أثر عن العربي، منذ القدم، أنه كان - حين ينزل به ضيف - يتحلل من أيّ عائق قد يشوش على عملية استقباله له، فيندفع نحوه، مرحباً، حافي الرجلين، مخلفا وراءه نعليه؛ لأن الوقت

الذي سينفقه في اتعالهما ربما ذهب بجمارة اللقاء، ولهذا فقد ربطت معتقدات كثيرة بالضيف أو بالأيام والساعات بل اللحظات التي تسبق قدوم الضيف، فقد بما كان الضيف يأتي فجأة دون علم أهل البيت بذلك، وذلك لنقص وسائل الاتصال، ولكن هذا لم يمنع الناس من التطير والإيمان ببعض المعتقدات وربطها ربطا مباشرا بحدوث زيارة أو بقدوم الضيف، فقد ربط أجدادنا الضيف بمجموعة من الحوادث والعادات المتكررة والتي تحولت مع مرور الوقت إلى معتقدات شعبية راسخة في الحياة اليومية، فأمنوا بها وصدقوها، بل إن حدوثها يجعلهم يبتهجون وينتظرون بشغف دخول الضيف.

ولهذا فقد تعاملوا مع مجموعة من السلوكات وربطوها ربطا مباشرا بالضيف، ومن هذه الطقوس ما يتم ربطه بما صدر من أفعال وحركات من الإنسان أو الحيوان.

1.4 السلوك الإنساني وعلاقته بالضيف:

ارتبطت مجموعة من السلوكات الإنسانية في المجتمع الجزائري بقدوم الضيف ومن ذلك

مثلا:

1.1.4 حك الشفة العليا:

وهو معتقد تؤمن به خصوصا المرأة الجزائرية، فهو أقرب من الإيمان، فمجرد الشعور بحكة فوق شفتها العليا تسارع إلى التأكيد على أن ضيفا ما سيحل على البيت، ولهذا تستعد لاستقباله إيمانا منها أن حدسها لا يخيب وأن المعتقد الذي تؤمن به صحيح لا شك فيه، وهناك من يفصل أكثر فيجعل الحكمة في أعلى الشفة العليا دلالة على أن الضيف امرأة أما الحكمة أسفل الشفة السفلى دلالة على أن الضيف رجل، وهو معتقد شعبي ينتشر تقريبا في ربوع الجزائر، فهو مترسخ إلى درجة الاعتقاد الشامل.

2.1.4 حك الأنف:

غالبا ما تعود حكة الأنف إلى أسباب تتعلق بالحساسية أو استنشاق شيء غير طبيعي، وقد ربط البعض الحكمة الفجائية للأنف بقدوم الضيف، إلا أن هناك معتقدات

أخرى تربطها بسماع خبر وفاة أو من يعتقد أن ذلك مؤشر على حدوث خصام ما. لكن الاعتقاد الغالب هو قدوم الضيف.

3.1.4 رجفان جفن العين:

ويسمى أيضا رفة العين، وهو عبارة عن تشنج متكرر لا إرادي في عضلات الجفن، ولا يمكن التنبؤ بنوبات ارتعاش الجفن ورجفانه، لأنه يحدث بشكل مفاجئ لا يمكن السيطرة عليه ويكون متقطعا لعدة أيام، بعد ذلك قد لا نعاني من أي ارتعاش لأسابيع أو حتى شهور، وهذه التشنجات غير مؤلمة، وقد تكون بسبب الإعياء أو قلة النوم أو أسباب أخرى، غير أن المعتقدات الشعبية تربط رفة العين أو رجفانها برؤية شخص عزيز أو رجوع غائب من سفر طويل، فيسارعون إلى تمني عودة الغريب أو رؤية شخص عزيز يحلّ ضيفا عليهم، وغالبا ما يكون من أفراد العائلة الذي نفتقده ونتمنى رؤيته.

4.1.4 حبو الطفل في بهو المنزل:

يمارس الطفل الحبو في مرحلة عمرية معينة، ثم يتعلم المشي تدريجيا حتى يتخلّى عن هذه العادة، غالبا في سنته العمرية الثانية، ولكن لو قام الطفل الصغير -الذي تجاوز مرحلة الحبو- بالحبو المفاجئ في المنزل لبضع ثواني أو دقائق فهذا تأكيد قاطع على أن ضيفا سيحلّ عليهم في ذلك اليوم، ويلج عتبة الباب، ولهذا ما على أهل البيت إلا الاستعداد لاستقباله، وهم لا يعرفون من سيكون الضيف تحديدا ولكنهم يؤمنون بالاعتقاد المترسخ في الأذهان بأن تلك الحركات والسلوكيات التي يقوم بها الطفل هي إعلان مسبق عن قدوم ضيف مفاجئ.

5.1.4 سقوط العجين من قصعة الطعام:

تحضير الطعام من العادات المترسخة في المجتمع الجزائري خاصة طبقي الكسكسي والكسرة، ولهذا تم ربط مجموعة من المعتقدات بذلك، فعندما تنهك المرأة في تحضير الخبز(الكسرة) تخرج بشكل لا إرادي قطعة عجين خارج القصعة وتسقط أرضا، وهذا

الأمر الذي يحدث بشكل عفوي تربطه ربة البيت مباشرة بأن شخصا ما -من غير أهل البيت- سياتي من ذلك الخبز الذي تحضره. فقد آمنت المرأة كثيرا بالمعتقدات الشعبية حتى أنها اعتبرت العامل الأساسي في المحافظة عليها داخل البيت وداخل المجتمع، حتى أضحت كثير من المعتقدات توجه سلوك الأفراد لدرجة إيمانهم بصحة هذه المعتقدات حد مخالفتهم العلم والدين.

6.1.4 تعلق قشة بأحد أفراد العائلة عند دخول البيت:

إذا صادف وتعلقت قشة بشخص ما حين دخوله البيت سواء بنعله أو أطراف ملابسه فهذا في الاعتقاد الشعبي له دلالة الضيف، فالقشة يرتبط دخولها البيت بدخول الضيف، لأن ذلك قد حدث بشكل عفوي ودون تخطيط مسبق له، فما على أهل البيت إلا الإيمان بالمعتقد الراسخ والاستعداد لملاقاته في أي حين، إذ يصعب في أحيان كثيرة تكذيب المعتقد وإثبات صحته من خطئه.

2.4 السلوك الحيواني وعلاقته بالضيف:

المعتقدات الشعبية تقليد متوارث وإيمان راسخ في أعماق المجتمع، والتي تحولت بشكل تدريجي إلى سنن وقوانين مرتبطة بالظواهر الطبيعية، فهي لم تقتصر على ما يصدر من الإنسان من حركات، إنما امتدت وارتبطت بنمط العيش الفلاحي والبسيط بساطة الحياة اليومية، ولهذا تم ربط بعض التصرفات غير العادية للحيوانات وسلوكياتها بالضيف، ومن ذلك مثلا:

1.2.4 دخول الدجاجة إلى البيت:

قديمًا كان نمط العيش فلاحيًا يرتبط بالأرض والزراعة وتربية الحيوانات، لحاجته الماسة لهذه النشاطات الفلاحية فهي مصدر العيش الوحيد، ولهذا ارتبطت مجموعة من الأحداث أو سلوك الحيوانات بمعتقد أو بطقس الضيف، ومن ذلك دخول الدجاجة إلى البيت وتحريك جناحها، فتفسير ذلك هو قدوم ضيف وفرح أهل البيت واستعدادهم

لاستقباله. فتحريك جناحي الدجاجة هو في اعتقادهم ترحيب مسبق بالضيف. وغالبا ما يتم ذبح الدجاجة أو الديك-حسب إمكانية العائلة- وتحضير طبق الكسكسي على شرف ذلك الضيف.

2.2.4 دخول القطة وشاربها محمل بشيء ما:

القط من الحيوانات الأليفة التي استأنسها الإنسان وخصها بمعاملة مميزة فعندما يدخل القط إلى المنزل وفي شاربه قشة أو ريش فهذا دليل على قدوم الضيف، ففي طقس ومعتقد أهل البيت أن ما علق في شارب القطة هو مؤشر وعلامة على أن ضيفا ما سيحل على أهل البيت.

3.2.4 دخول الكلب وهز ذيله:

نادرا ما يدخل الكلب إلى البيت، فهو يعيش خارجه عكس القط، ولهذا فعندما يدخل ويقوم بحركة هز الذيل فذلك اعتقاد وطقس مرتبط بالضيف. فيتسارع أهل البيت إلى التكهّن بقدم ضيف ما على غفلة منهم، وهذا المعتقد كان سائدا ومترسحا عند العرب قديما، فكما كانوا يربطون الكلب بالوفاء لأهله في السراء والضراء فهم يربطونه كذلك بالضيف الذي كانوا يعزونه ويؤثرونه على أهل البيت، فقد " كان العربي يتفاءل بنباح الكلاب على مجيء الضيوف"¹⁰، كما نجد أن الناس إلى جانب ربطهم الكلب بالتفاؤل، يتشاءمون عند سماع نباحه فتجدهم يقولون " فال الله لا فالك"، وهذا يختلف من منطقة إلى أخرى.

4.2.4 دخول الذباب إلى البيت:

لا يكاد يخلو بيت أو ساحته من الذباب في فصل الصيف، ولكن هناك نوع من الذباب الأسود الكبير الحجم الذي يصدر صوتا قويا، وهو في الأصل مصدر إزعاج لما يحمله من جراثيم وهو نادر الدخول إلى البيت عكس الذباب الآخر الصغير الحجم، ولهذا فإن دخول الذبابة السوداء والكبيرة الحجم إلى البيت بعادة يرتبط بمعتقد قدوم

الضيف. أما دخول الفراشة فيرتبط بسماع خبر مفرح فهي " تبشيرة خير" كما يطلق عليها ومن بين تباشير الخير عودة شخص عزيز بعد غياب طويل أو سماع خبر نجاح وولادة... إلخ.

6.2.4 سماع صوت طائر البوبشير:

يعيش طائر البوبشير في الصحراء، يتخذ من ثقب جدران المنازل بيوتا وأعشاشا له، فهو لا يعيش في الأشجار، وعند سماع صوته يعلم أهل المنزل بقدم الضيوف إليهم أو سيأتيهم خبر مفرح، وقد جاءت تسميته من البشر والبشارة، أو حمل خبر مفرح ومن ذلك قدوم الضيف.

وهذه المعتقدات الشعبية مترسخة أكثر لدى النساء فهن أكثر إيمانا بها عكس الرجل، وهذا يعود إلى أسباب عديدة من أهمها مكوث المرأة المستمر في البيت عكس الرجل الذي يكون متواجدا أكثر خارجه.

وهناك كثير من الطقوس الأخرى التي آمن بها الجزائري وربطها مباشرة بالضيف وبحلول بركته على أهل البيت، ولهذا تمسكوا بها وآمنوا بها، إلى درجة التصديق الكبير والإيمان القاطع، وهذا يعود إلى ترسخ مثل هذه الطقوس وتجذرها في أعماق المجتمع الجزائري.

خاتمة:

- تبقى المعتقدات الشعبية مبررات الإحساس الذي يسكن أعماق الناس، فيقدمون مبررات لأشياء يشعرون بها ويتمنون أو يخافون حدوثها، ولكنهم غير واثقين من ذلك وبالتالي تكون تصرفاتهم اليومية أو ما يحيط بهم من مظاهر طبيعية وسلوكات حيوانية مصدرا مهما لها.

- تعتبر المعتقدات الشعبية موروثا شعبيا وثقافيا بامتياز، وهذا لتجذرها في أعماق المجتمع الذي يؤمن أفرادها بها، فهي عبارة عن حرية شخصية لا تفرض نفسها على

الآخرين ولكن تؤثر عليهم حسب درجة إيمانهم بالشيء ورجاء تحققه من عدمه، ففي حالة التفاؤل يتسابقون إلى التعلق بالشيء المعتقد به والذي يجلب الخير أو الحظ، أما في حالة التشاؤم فهم يهرون من الشيء ويتطيرون منه اعتقاداً منهم أنه مصدر حزن وقلق.

- تعكس المعتقدات الشعبية تنوع التراث الثقافي الجزائري، وكذلك تراث باقي الشعوب العربية الأخرى، وقد تنوعت المعتقدات الشعبية من منطقة إلى أخرى كما أنها كانت نتاجاً حضارياً متوارثاً عبر الأجيال المتعددة.

- ارتبطت المعتقدات الشعبية بمجموعة من السلوكيات اليومية التي تؤول حسب حالة الشخص أثناء حدوث الأمر، فإن كان خيراً ربط المعتقد بالخير، وإن كان شراً ربط كذلك بالشر، ومن ذلك حالات التطير من حدوث أشياء كثيرة.

- كان اهتمام الجزائري بالضيف عادة متوارثة، وهي تكريم مجلسه والترحيب به، ولهذا تم ربط مجموعة من السلوكيات اليومية التي تصدر منه أو من الحيوانات والمحيط الخارجي بالضيف وبالآجاء الاحتفالية التي تصادف قدومه، وهذا يدل على كرم الإنسان الجزائري الذي تجذرت في أعماقه ثقافة الضيف وعادات الترحيب به والتي تبدأ أساساً من التكهن بقدومه بالإيمان المسبق بمجموعة من المعتقدات التي ترسخ ذلك الحدس والإيمان الداخلي العميق، لأن المعتقد في أصله هو الإيمان العميق بالشيء.

الهوامش:

¹ محمد الجوهري، الدراسات العلمية والمعتقدات الشعبية، ج1، دار الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1978، ص45.

² المرجع نفسه، ص42.

³ المرجع نفسه، ص43.

⁴ علي المكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية، دراسات نظرية وبحوث ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1994، ص255.

⁵ غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، تر: عادل وعيتر، كلمات عربية، القاهرة، دت، ص18.

⁶ محمد توفيق السهلي، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل، فلسطين، دت، ص8.

⁷ فراس السواح، دين الإسلام، بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، ط4، 2002، ص47.

⁸ المرجع نفسه، ص48.

⁹ عبد الحكيم خليل سيد أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، شركة الأمل، ط1، القاهرة، ص10.

¹⁰ محمد توفيق السهلي، مرجع سابق، ص8.